

لمحات عامة عن

تاريخ التعليم العالي في عسير

(١٤٠٥ - ١٤٣١ هـ / ١٩٨٥ - ٢٠١٢ م) (*)

أ. عبد الرحمن بن عبد الله بن حموض

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن

جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ /

٢٠٢١ م)، (الجزء التاسع عشر) ص ص ٣٢٧ - ٣٣١ .

٥. لمحات عامة من تاريخ التعليم العالي في عسير (١٤٠٥-١٤٣١هـ

١٩٨٥-٢٠١٢م). بقلم: أ. عبدالرحمن بن عبدالله بن حموض^(١).

سعادة أ. د. غيثان بن علي بن جريس. وفقه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: إشارة إلى طلب سعادتك المشاركة فيما تعملون عليه من إعداد مشروع علمي تحت مسمى: التعليم العالي في عسير في عيون بعض المعاصرين والمسؤولين للفترة من (١٣٩٦-١٤٤١هـ). ورغبة سعادتك المشاركة في ذلك باعتباري كنت مسؤولاً عن بعض الأمور الإدارية لبعض تلك الفترة.

يسعدني الإفادة بجهد المقل في هذا الشأن مستمداً العون من الله سبحانه ثم الاعتماد على بعض ما تخزنه الذاكرة للفترة من منتصف عام (١٤٠٥ حتى عام ١٤٣١هـ)^(٢) وسيكون الحديث إلى حد ما عن الجوانب الإدارية التي كنت مسؤولاً عنها خلال تلك الفترة. أما الجوانب الأكاديمية فسأتركها للزملاء الأكاديميين بحكم التخصص^(٣).

ومنذ انتقالي من إمارة منطقة عسير منتصف عام (١٤٠٥هـ) إلى جامعة الملك سعود فرع أبها كمدير عام للشؤون الإدارية والمالية^(٤)، كان هدي في البعيد والاسمى هو تحقيق مشروع إنشاء فرع جامعة الملك سعود بأبها في ذلك الوقت^(٥). إذا كان الفرع يتكون من الوحدات الآتية:

(١) ولد الأستاذ عبدالرحمن بن حموض في ناحية تمنية قرية آل ينفع بشعف شهران في منطقة عسير عام (١٣٧١هـ). حصل على درجة البكالوريوس في الشريعة، ودرجة الماجستير في علم الأنظمة. بدأ عمله في ديوان الموظفين العام (وزارة الخدمة المدنية حالياً)، ثم انتقل إلى إمارة منطقة عسير عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). وفي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) انتقل إلى فرع جامعة الملك سعود في أبها، وصار مديراً عاماً للشؤون الإدارية والمالية، وتقاعد عام (١٤٣١هـ)، وما زال يعيش في أبها حتى الآن ويمارس مهنة المحاماة. (ابن جريس).

(٢) هذه الفترة (١٤٠٥-١٤٣١هـ/١٩٨٥-٢٠١٢م) حقبة مهمة لتأسيس وتطور مسيرة التعليم العالي للبنات والبنين في جنوب المملكة العربية السعودية. أرجو أن نرى في المستقبل من يؤرخ ويوثق هذا الميدان المهم في عسير، والباحة، وجازان، ونجران. (ابن جريس).

(٣) إن الجوانب المالية والإدارية والتعليمية الأكاديمية تستحق دراسات عديدة موثقة، حذاً أن تكون مدعومة بالوثائق والصور الفوتوغرافية. (ابن جريس).

(٤) حصلت في هذا العام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) على درجة الماجستير من إنديانا بلومنجتون في الولايات المتحدة الأمريكية، وعدت للعمل في كلية التربية بأبها، ولم يكن في حاضرة أبها إلا أربع كليات جامعية، اثنتان لفرع جامعة الملك سعود (التربية، والطب). واثنتان لفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (كلية الشريعة وأصول الدين، وكلية اللغة العربية). (ابن جريس).

(٥) كان فرع جامعة الملك سعود في أبها قائماً منذ تأسيس كليتي التربية والطب، لكن ربما لم يعرف بهذا الاسم رسمياً إلا منذ إنشاء إدارة الشؤون الإدارية والمالية للفرع، وكان كاتب هذه المذكرة أول من تولى إدارتها، وصار الدكتور مزيد إبراهيم المزيد هو المشرف على الفرع أثناء إعلان هذه التسمية في السنوات الأولى من القرن (١٤٠٥هـ/٢٠م). (ابن جريس).

١- كلية التربية وعميدها د. عبد اللطيف حسين فرج. ٢- كلية الطب وعميدها د. غازي عبد اللطيف جمجوم، وعمادة القبول والتسجيل وعميدها. د. مزيد إبراهيم المزيد. والإدارة العامة للشؤون الإدارية والمالية ومديرها العام عبد الرحمن عبد الله حموض^(١).

كانت كلية التربية تقع على طريق أبها - خميس مشيط في مبان أصبحت لا تفي بحاجة الكلية وقد سعت مع الزملاء للبحث عن بديل مناسب لاستيعاب عدد أكبر من الطلاب وتم إيجاد البديل وهي المباني الكائنة في مدينة أبها على الحزام الدائري، وكان ذلك في عام (١٤٠٩هـ) وانتقلت الكلية إليها، وتم التوسع في قبول الطلاب، وتضاعف العدد أكثر من مرة. إضافة إلى مسرح كبير يتسع لما يقارب ألفاً وخمسمائة فرد. ومواقف للسيارات ومبنى خاص بأعضاء هيئة التدريس.^(٢) وكانت تلك نقلة نوعية في ذلك الوقت.

جرى التنسيق مع كلية الطب لإضافة مباني جديدة تفي بحاجة الكلية وتم إنشاء مسرح يتسع لأكثر من مئتي فرد. وتم نقل عمادة القبول والتسجيل وشؤون الطلاب إلى مبنى مجاور لكلية التربية. كل ذلك كانت مباني مستأجرة فرضتها الحاجة حتى قيام مشروع الفرع الذي من أول يوم باشرت العمل في فرع الجامعة تلمست أسباب التأخر في تنفيذ هذا المشروع المعتمد في ميزانية الجامعة وكانت المفاجأة بأن سبب التأخر في تنفيذ المشروع هو وجود أملاك خاصة داخل أرض الجامعة وليس لدى المسؤولين علم عنها، وهي أملاك زراعية ومنازل وآبار مملوكة لأشخاص من سكان تلك القرى المجاورة للأرض، وقد امتنعت وزارة المالية عن اعتماد أية مبالغ إضافية للمشروع بسبب وجود تلك العقارات. لأنها مملوكة للجامعة بموجب صك شرعي مفرغ من البلدية للجامعة فكيف يكون داخلها أملاك خاصة^(٣).

(١) لقد عملت وعاصرت هؤلاء الدكاترة (عبد اللطيف حسين فرج، وغازي جمجوم، ومزيد المزيد) وكان لهم جهود جيدة في مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير، أمل أن نرى من يكتب تراجمهم وجهودهم في خدمة هذا الميدان. (ابن جريس).

(٢) المباني الأولى والمعنية في هذا الرصد على طريق أبها - خميس مشيط لعبد الهادي القحطاني، وتم الانتقال منها عام (١٤٠٩هـ) إلى عمائر سليمان ابن حبت على حزام أبها الدائري. وما زالت ماثلة للعيان حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس).

(٣) كان في حاضرة أبها أكثر من موقع لمشروع الجامعة، في القرعاء (الفرعا حديثاً)، وفي مدينة أبها. وقد سمعت عن مشروع جامعة الملك سعود في القرعاء منذ كنت أدرس مرحلة البكالوريوس في كلية التربية (١٣٩٦. ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦. ١٩٨٠م)، واستمرت المشاكل حول هذا المشروع حتى الآن. وقد قطعوا شوطاً جيداً في بناء هذا المشروع وتشبيده، لكن مازال هناك بعض المشاكل حول استكمالها، انظر شهادة الدكتور

تم التفاهم مع معالي مدير الجامعة أ. د. منصور التركي .وسعادة أ. د. وكيل الجامعة لشؤون الفروع أ. د. محمد إبراهيم الجار الله وتم الاتفاق على عرض هذا الإشكال على صاحب السمو الملكي أمير منطقة عسير خالد الفيصل الذي بدوره خاطب مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أمر بتشكيل لجنة من وزارة الداخلية، والعدل، والتعليم العالي. وقد مثلت وزارة التعليم العالي في هذه اللجنة وأوصينا بنزع ملكية تلك الأملاك وإعادة تطبيق صك الجامعة بما يتفق مع الواقع وتمت الموافقة على ما توصلنا إليه وتم عرضه على سمو أمير المنطقة وكان لسموه رأي آخر وهو أن تكون واجهة المشروع على الطريق المؤدي إلى القرعاء (الفرعاء) فأوضحت له أن تلك الأرض مملوكة لجامعة الإمام محمد بن سعود فصدر أمره بضمها إلى أرض جامعة الملك سعود فتمت إعادة التصميمات الهندسية على ضوء ذلك، وتم اختيار أرض لجامعة الإمام بديلة لتلك الأرض، وشاركت في اختيارها وهي الواقعة في المحالة.

وأثناء تلك الإجراءات الروتينية التي أخذت وقتاً طويلاً صدرت توجيهات مجلس التعليم العالي بإنشاء كليتي المجتمع في نجران وجازان وتتبعان مالياً وإدارياً لفرع جامعة الملك سعود في أبها وقمت مع بعض الزملاء باستئجار مقرين لتلك الكليتين وبعد ذلك صدر الأمر بإنشاء كلية للمجتمع في مدينة بيشة وقمت مع بعض الزملاء باستئجار مقر لها. وكانت تلك الكليات نواة لثلاث جامعات فيما بعد في نجران وجازان وبيشة^(١). ثم كانت نقطة التحول الرئيسية في مسيرة التعليم العالي ففي عام (١٤١٩هـ) قام صاحب السمو الملكي ولي العهد في ذلك الوقت " الأمير عبد الله بن عبدالعزيز بزيارة لمنطقة عسير. وكان من ضمن برنامج الزيارة وضع حجر الأساس لإنشاء مباني فرع جامعة الملك سعود بأبها في القرعاء وتم تحديد موعد لذلك يوم (٩/١/١٤١٩هـ)، وقد كنت مع بعض الزملاء في لجنة يرأسها سمو الأمير خالد بن مقرن المشرف على فروع الجامعة بالإعداد والتهيئة لحفل وضع حجر الأساس. وكان ذلك اليوم نقطة تحول في مسار التعليم العالي بالمنطقة كافة إذ أعلن وزير التعليم العالي أ. د. خالد العنقري في كلمته موافقة خادم الحرمين الشريفين على دمج فرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن

محمد بن عبد الله آل داهم المنشورة في الجزء الثامن عشر من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)، ص ٢٨٤. (ابن جريس) .

(١) إن تاريخ كليات المجتمع في الجنوب السعودي، وأيضاً كليات البنات والبنين في هذه البلاد جديرة بالدراسة والتوثيق منذ عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م). وهناك العديد من كليات البنات في هذه الفترة لم يوثق تاريخها، ونجد صعوبة في العثور على سجلات ووثائق تلك الفترة، ومعظم مصادرها ووثائقها في إدارات تعليم البنات والرئاسة العامة لتعليم البنات، أمل من طالباتنا في الدراسات العليا بأقسام التاريخ في جامعات الملك خالد، وجازان، ونجران، وبيشة أن يدرسن ويوثقن هذه الحقبة المهمة في تاريخ التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

سعود في جامعة واحدة تسمى جامعة الأمير عبد الله، حينها قام صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز وارتجل كلمة قصيرة وأخرج قصاصة من كفه وقال فيها بما معناه أنه يؤثر على نفسه ويرى أن تسمى هذه الجامعة باسم الملك خالد وقد تم ذلك^(١). وعلى ضوء الإعلان تم تشكيل لجنتين إحداهما أكاديمية والأخرى إدارية لإنفاذ الدمج والمرجعية للجنتين وكيل وزارة التعليم العالي في ذلك الوقت أ. د. عبد الله بن محمد الراشد. واستمرت اللجنتان في أعمالهما وقدمت تقاريرها لوكيل الوزارة^(٢). وما هي إلا أيام قليلة حتى صدر التوجيه بتكليف أ. د. عبد الله بن محمد الراشد مديراً لجامعة الملك خالد لفترة لا تتجاوز أربعة أشهر ثم صدر الأمر الملكي الكريم بتعيين معاليه مديراً للجامعة^(٣). وقد بذل معاليه جهوداً جبارة يشكر عليها لتأسيس هذه الجامعة تأسيساً صحيحاً يتفق مع معايير التعليم العالي ويحقق آمال وطموحات القيادة الرشيدة من إنشاء هذه الجامعة التي كانت فاتحة خير على كل مناطق المملكة فهي الجامعة الثامنة في منظومة الجامعات السعودية.

وتوالى إنشاء عشرين جامعة حكومية في مناطق المملكة المختلفة بما في ذلك جازان، ونجران، وبيشة. وانطلقت الجامعة في استحداث عدد من الكليات كالهندسة والحاسب الآلي والصيدلة، وقامت باستحداث كليات في بعض المحافظات كخميس مشيط، وظهران الجنوب، وسراة عبيدة، ومحايل، والنماص، وسبت العلياء، وأحد رفيدة، ورجال المع^(٤). وفي تلك الأثناء صدرت التوجيهات بضم كليات المعلمين وكليات تربية البنات إلى جامعة الملك خالد في عموم محافظات المنطقة إضافة إلى الكليات الصحية والمعاهد التمريضية.

(١) لقد كنت معاصراً وشاهد عيان على ذلك اليوم، وذلك الاحتفال الذي أعلن فيه الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود تسمية الجامعة باسم (جامعة الملك خالد)، وهذا الإيثار والوفاء من أخ لأخيه يعد منقبة كبيرة، وقد عرف الناس مناقب كثيرة للملك عبد الله بن عبدالعزيز أيام حكمه للبلاد (١٤٢٦-١٤٢٦هـ). (ابن جريس).

(٢) لقد اطلعت على عشرات الوثائق عن أعمال تلك اللجنتين، وأمل أن أنشرها في أعمال علمية حتى يستفيد منها الباحثون وطالبات وطلاب الدراسات العليا. (ابن جريس).

(٣) لقد ذكرت في أكثر من مكان في بحوث ودراسات سابقة أن مناطق الجنوب السعودي كانت موفقة أن تولي إدارة أول جامعة في هذه النواحي شخصية قوية مثل الدكتور عبد الله بن محمد الراشد الذي بذل جهوداً جبارة في تأسيسها على أسس وثوابت قوية. وقد استطاعت هذه المؤسسة (جامعة الملك خالد) أن تشرف على تأسيس وتطور جامعات ومؤسسات تعليمية عالية في هذا الجنوب العربي الأصيل. (ابن جريس).

(٤) أعمل منذ فترة على جمع وثائق تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير، وأمل أن أتمكن من نشر هذه الوثائق في عدة مجلدات، حتى يطلع الدارسون والباحثون على مصادر موثوقة عن نشأة وتطور التعليم الجامعي في منطقة عسير وما جاورها. (ابن جريس).

واستمرت الجامعة في خدمة المجتمع كما هو أحد أهدافها. وبدأت أيضاً في استقطاب الشركات العالمية المتخصصة في الهندسة لوضع التصميمات الهندسية لمشروع جامعة الملك خالد في القرعاء (الفرعاء) وتقدمت بيوت خبرة عالمية لذلك الغرض وتم اختيار الأفضل. وأرست الجامعة عدداً من المشاريع الماثلة للعيان على أرضها في القرعاء (الفرعاء) وقد تحقق الكثير من تلك المشروعات وما زال العمل جارياً لاستكمال البقية منها بما في ذلك المستشفى الجامعي الذي يتسع لعدد (٨٠٠) سرير، كذلك الطرق المؤدية للجامعة من أبها وخميس مشيط. وهي محط أنظار صاحب السمو الملكي أمير منطقة عسير الذي يوليها كامل عنايته ومتابعته حتى يتحقق الحلم بانتقال جميع الكليات العلمية والأدبية إلى ذلك الموقع^(١).

وأكد أجزم أن هذه الجامعة من أكبر الجامعات في المملكة إن لم تك أكبرها فهي تتربع على مساحة تصل إلى مليون متر مربع ويربو عدد طلابها بنين وبنات على سبعين ألفاً. وقد استقطبت أعداداً كبيرة من السعوديين أبناء وبنات لابتعاثهم في الجامعات العالمية وعاد الكثير منهم مؤهلين تأهيلاً أكاديمياً ويمارسون أعمالهم في الجامعة^(٢).

(١) ما ذكر صاحب هذه الورقة أقوال عامة، وكنت أتمنى أن يدون معلومات دقيقة مدعومة ببعض الإحصائيات، وكان الواجب عليه أن يفعل ذلك،، لأنه بقي مديراً عاماً للشؤون الإدارية والمالية في فرع جامعة الملك سعود ثم جامعة الملك خالد أكثر من سبع وعشرين عاماً (١٤٠٥-١٤٣٢هـ/١٩٨٥-٢٠١٢م). (ابن جريس).

(٢) أشكر يا أستاذ عبدالرحمن بن حموض على هذا الرصد العام وكنت أتمنى أن تكون فصلت الحديث في جوانب أشرت إليها أثناء حديثك وكنت معاصراً وصانع قرار في الكثير منها. (ابن جريس).